وبذلك تحولت اليهودية على يد مندلسون من ميدان النظـــر الميتافيزيقي الـى السلوك والاخلاق العملية · ويبدو ذلك بشكل اكثر وضوحا في مفهومه عـــن اليهودية كتشريع الهي ، فهو لا يميز ويباعد بين الميتافيزيقيا واليهودية فحسب، او بينها وبين ميدان النظر ، بل يباعد بين الدين واليهودية · فهو يعتبر اليهودية نظاما تشريعيا جاء بوحي من الله وامر منه ، ولكنها ليست دينا بالمعنى المفهوم للكلمة، اي ليست مجموعة منالمعتقدات والمبادىء الماورائية الميتافيزيقية (١٤)·

والواقع ان المذهب العقلي في عصر التنوير ، عصر مندلسون ، كان لـــه موقفان من قضية الدين : فقد كان هناك اتجاه يتمسك بالقوة الغالبة لملكة العقل والمعرفة ، ويؤمن بقدرة العقل البشري على تفسيرمبادىء الدين بوسائلـــه واقيسته المنطقية ، بينما يذهب التيار العقلاني الاخر الى اعتبار الدين عقيـــدة نظرية وجزءا لا يتجزأ من الميتافيزيقا ، ومن ثم يخرج عن نطـــاق العقل ، ولا يخضعللصياغة العقلية · ومندلسون يتخذ هذا الموقف الاخير غير الوفاقـي ، فيعتبر الدين ميدانا لا ينفصل عن الميتافيزيقا ، بل وتشكـــل حقائقه النظريـة الموضوع الصحيح لميتافيزيقا ، أما اليهودية فهي في نظره حقيقة تاريخية يمكن تحديدها بدقة ، ولا يمكن تصنيفها في عداد الميتافيزيقا ، والصورة التاريخيـة المميزة لليهودية ، انها ليست دينا بهذا المعنى ، لانها في الاساس ، تشريـــع ونظام من القوانين والاوامر والوصايـــا والنواحي البعيـــدة عن التأمـــل الميتافيزيقي (١٥) ، فجوهرها اخلاقي/، /يتشكل من الناموس او الشريعة Law التي اوحى بها الله الى اسرائيل ، والتي لم تطبق على شعب اخر ، والله فـي علاقته باليهود يتصرف كمشرع ·

ويرى الكاتب نفسه (١٦) ، وهو مدير الجامعة العبرية في القدس ، ان مفهوم مندلسون هذا عن اليهودية يتأثر بالفكر السائد في عصره ، وبالاخص بحركـة التاليه Deism ، وهي الحركة الدينية والفلسفية المؤثرة في القرن الثامـــن عشر ، والتي تؤمن بوجود الله دون اعتقاد بديانات منزلة ، وتدعو الى الايمان بدين طبيعي يقوم على العقل لا الوحي ، وتؤكد الجانب الاخلاقي من الدين ، كما تنكر تدخل الخالق فيناموس الكون ، وتستبعد الميتافيزيقا وتعزلهـا عـن الدين · والواقع ان مندلسون يعتبر ان ممارسة العقل كافية في ذاتها لكـــي تعطينا الحقائق الدينية ، وهو يقصر الوحي على الشريعة وحدها ·

الدين والاخـــلاق

وعندما يرفضمندلسون اية حقائق ازلية خارجة على العقل ، او مبادىء لا يتقبلها العقل البشري ، ولا تخضع لمقاييسه وبرهنته ، لا يرى في ذلـــك اي خروج على دين الاجداد · فالدين اليهودي لا يعترف بعقيدة من وحي السمـاء